دَوْرُ العَمَلِ بالدِّينِ
مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ القرآنِ والحديثِ

د. محمد جواد اسكندرلو
جامعة المصطفى العالمية - قم - ايران

ترجمة
احمد سالم العتابي

فحوى البحث

يدور موضوع هذا البحث التوجيهي الصوفي حول دور العمل بالدين والايمان و تطبيق المعتقدات على مفردات الحياة الشخصية والاجتماعية للانسان. وقد اثبت البحث ان هناك علاقات مباشرة بين الايمان والدين والعمل بتعاليمها، اذ لا يمكن للانسان الوصول الى السعادة الا من خلال الالتزام بذلك كما يتطرق البحث الى وجهة نظر القرآن الكريم والحديث الشريف بخصوص أحكام وتكاليف الدين المكتوبة على الانسان المسلم وفي كل المناحي: السياسية والاجتماعية والاقتصادية فضلا عن الامور العبادية الشخصية. ويخلص البحث الى أن السعادة لاتتحقق الا من خلال هذا المنظور.

المقدمة

الاسلام دين متكامل، شامل لأبعاد الحياة كافة وديمومتها، ومن يطبّق أوامر الاسلام تُفتح أبواب السعادة والكمال بوجهه.

وحسب هذه الرؤية توجد هناك واقعيات إضافة الى الظواهر، وهذه الواقعيات تقوم بحلّ الكثير من المعضلات و المشاكل للانسان العصري. وقد استند القران الى المعنى القائل بأن الحاجة الى الدين حاجة فطرية وذاتية، وتكلم القران عنها بعبارات رائعة، من ضمنها: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سورة الروم: ٣٠].

أظهرت دراسات العلماء ان العلاقة المذهبيّة والدينية من أقدم العلاقات التي ضربت جذورها في التاريخ، حيث أنّها موجودة وثابتة على طول الزمان. وبسبب ان بعض الناس لوّثوا فطرتهم بالشرك أكّد القران على كلمة (حنيفاً) لإظهاره بقاء طهارة الفطرة.

وأكّد القران بعبارات مختلفة على إظهار ان الدين فقط من عند الله سبحانه ومن شأنه بالخصوص.

وعندما ينسب الله الدين الى نفسه، فمعناه أن ترتيب وتدوين الدين يرجع إليه، كما في قوله: ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [سورة النصر: ٢].

بعض الاحيان ينسب ملكية الدين الى نفسه كما في قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٣]. ومع كل ذلك يجب ان لانغفل دور (العمل) في تحقّق آثار وبركات الدين.

وجهة نظر القرآن؛ ان الدين حقيقة حية، لأن تطبيقه يُحيي المجتمع، وتطبيقه بمنزلة الماء للحياة.

الدين حقيقة حية، فالذي يتوجب علينا هو احياء حقيقة الدين ومعارفه. فالدين جزء من فطرة الانسان، وان الانسان الذي لم يلوّث فطرته، يملك هذا الاحساس المذهبي و الديني: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ

عِوَجَا ﴾[سورة الكهف:١].

ومن الجدير بالذكر ان الطريق الوحيد للوصول الى المعبود هو جعل طوق العبودية المحضة في عُهدة الأهواء النفسية، وترك عبادة الصنم الكبير المتمثّل بعبادة الأنا.

ولا يمكن الوصول الى هذه الامور إلاّ عن طريق الإيمان و العمل الصالح، اللذين يُنبئان عن العشق الإلهي. وهذه الأعمال الصالحة توصل الانسان والمجتمع بأبعادها الواسعة الى غاية الكمال والعبودية ونيل رضى الله سبحانه.

ظاهر الدين وباطنه

ظواهر القران وباطنه، أو بعبارة أخرى اللؤلؤة و الصدف، فمثلما يكون (الكتاب التكويني) له ظاهر وباطن، فإن للقران (الكتاب التشريعي) أيضاً ظهر وبطن، وانّ ديننا هو قرآننا، وبيان المطالب الموجودة في القران وبيان آياته وتفسيرها يعمل على بناء الدين. بطن القران هو بطن الدين وظاهره هو ظاهر الدين.

ولم نتلقّ الدين إلاّ عن طريق الوحي الإلهي الذي هو القرآن، وتطابق الدين مع القران يُشير الى هذا المطلب.

قال العارف الكامل الامام الخميني ﷺ في تفسير سورة الحمد، القران كل شيء، فيه الاحكام الشرعية و الظاهرية، ظواهر يمكننا الاستفادة منها، ولكن لا نستطيع الوصول الى الاستفادة المطلوبة التي استطاع الرسول الأكرم ﷺ الوصول إليها ولا يمكن للآخرين الوصول اليها بالشكل المطلوب إلاّ بمساعدتهم ﷺ، حتى الأولياء لا يستطيعون الوصول الى تلك المراتب إلاّ بمساعدتهم.

القران ليس ألفاظاً وليس من مقالة السمع والبصر ولا من مقالة الالفاظ ولا من مقالة الأعراض، لكن تنزّل القران الينا نحن الصمّ البُكم، الى الحدّ الذي يمكن للصمّ و البُكم أن يستفيدوا منه[1].

(القران له ظاهر وباطن، وكلاهما مُرادان من الكلام الالهي، وهما في طول بعضهما أي ترتيباً طوليا، الظاهر لاينفي الباطن، ولا الباطن ينفي الظاهر، ولا يزاحم الباطن الظاهر في شيء)[2].

(١) تفسير سورة الحمد، الامام الخميني ﷺ، ص٣٣ - ٣٤.

(٢) علامه طباطبائي، القران فى الاسلام، تهران، دار الكتب الاسلامية، ص٣٣ - ٣٦.

يبين القران الكريم مقاصده الدينية من خلال البيان اللفظي له، ويعلّم الناس الأوامر الاعتقادية والعمل بها، ولكن لاتنحصر مقاصد القران في هذه المرحلة، بل هناك مقاصد معنوية كامنة في هذه الالفاظ ومكنونة في باطنها، وهناك مقاصد عميقة ووسيعة لا يفهمها ويطلع عليها الاّ الخواص بقلوبهم الطاهرة النقية[٣].

الدين في العمل والاعتقاد

علماء الاجتماع يعتقدون بأن كل المجتمعات البشرية لابدّ أن يكون لها مذهب من المذاهب، وان ما يقوله الرحّالة من وجود أقوام أو طوائف ليس لها مذهب، انّما يقصدون ان مذاهبهم لا تتشابه مع طوائفنا، وإلاّ لايوجد قوم في العالم ليس لهم مُعتقَد ومذهب وآداب وتقاليد ينتمون إليها.

كتب الاستاذ جعفر سبحاني:

(إنّ تاريخ العالم المكتوب يحكي عن اعتقاد البشر كلّهم في كل ادوار حياتهم انّ العالم له بداية، وهذا من أقدم وأعرق الاعتقادات الراسخة عند البشر. وكل انسان يتصرف وفق ما يؤمن به من اعتقادات، ولا يوجد أحد يتصرف من دون عقيدة، حتى المنافق الذي يتصرف بوجهين ويعتقد بوجهين فهذا الاعتقاد يجرّه للرجوع الى النفاق في تصرّفه. إذاً فالعمل على أساس الأفكار و الاعتقادات والتفاوت فيما بينها لا يرجع الى أصل الاعتقاد، بل إلى متعلّق الاعتقاد، يعني التوحيد أو الشرك)[٤].

ومن الجدير بالذكر ان الدين ليس أمراً خارجياً صامتاً حتى نحصره في قالب اللفظ والآية، بل هو سلسلة من المعاني والمفاهيم المنتظمة التي لها دور أساس في سعادة الانسان في جميع معلوماته البشرية. و المعارف الدينية مجموعة ثابتة ومصونة من الخيال والوهم و التحريف ومصائب الدهر.

ونقرأ هذه العلاقة بين الايمان و العمل في سورة الحجرات: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا

(٣) العلامة الطباطبائي، الشيعه فى الاسلام، قم انتشارات هجرت، ١٣٣٨ش، ص٥١.

(٤) جعفر سبحاني، طريق معرفه الله، ط١، طهران، كتابخانه الصدر، ١٣٥٣ش.

يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحجرات:١٤].

وجاء في شأن نزول الآية: ورد المدينة جماعة من بني أسد في بعض سنين الجدب والقحط وأظهروا الشهادتين على ألسنتهم، أملا في الحصول على المساعدة من النبيﷺ، وقالوا للنبي إن الطوائف العربية ركبت الخيول وحاربتك إلاّ أننا جئناك بأطفالنا ونسائنا دون أن نحاربك، أرادوا بذلك أن يمنّوا على النبيﷺ من هذا الطريق. فنزلت الآيتان آنفتا الذكر وكشَفَتا انّ إسلامهم ظاهري ولم يتغلغل الإيمان في أعماق قلوبهم. والفرق بين الاسلام و الايمان طبقاً للآيتين: إنّ الإسلام له شكل ظاهري قانوني فمن تشهّد الشهادتين بلسانه فهو في زمرة المسلمين وتجري عليه أحكام المسلمين. أمّا الايمان فهو أمر واقعي وباطني ومكانه قلب الانسان لا ما يجري على اللسان أو ما يبدو ظاهراً)[٥].

وهذا نفس ماقاله الرسول الأعظمﷺ (عن النبي قال: الاسلام علانية و الإيمان في القلب وأشار إلى صدره)[٦]. (الاسلام أمر ظاهري ولكن الايمان مكانه القلب).

إذا جاء ذكر اللفظين أحدهما منفصل عن الآخر، يمكن استعمالها في معنى واحد. فقد جاء عن الامام الصادقؑ ما معناه: (إن الإيمان يشارك الاسلام والإسلام لا يشارك الايمان)[٧]، بمعنى انّ كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن. خلاصة الكلام ان هناك علاقة مباشرة بين العمل و العقيدة، فكلما كان عمل الانسان صحيحاً كان أقرب للواقع ودلالة على رجاحة العقل، وكلما كان ثباته أكثر فهو علامة الايمان القوي.

قال الامام الصادقؑ: (الإيمان لايكون إلاّ بعمل والعمل منه ولا يثبت الايمان الاّ بعمل)[٨]. فعندما نربط هذين

(٥) ناصر مكارم الشيرازي، تفسيرالامثل، ج٢٢، ص٢١٠.

(٦) ابو الفضل الحسن بن علي الطبرسي، مجمع البيان، ط١، ج٩، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٧هـ، ص١٣٨.

(٧) ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، اصول الكافي، سيد جواد مصطفوي، طهران، انتشارات علمية اسلامية، ١٣٢٨هـ، باب الايمان، حديث ٣.

(٨) محمد حسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، قم، مؤسسة آل البيت، ١٤٠٩هـ، ص١٢٧.

الحديثَين الشريفَين يتّضح معنى الآية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة العصر: ٣]، (القران ذَكَر (الصالحات) هنا بصيغة الجمع مقرونة بالألف واللام فهي تدل على العموم و الشمول، ولتبيّن أن طريق تفادي الخسران الطبيعي الحتمي بعد الايمان، هو أداء الأعمال الصالحة جميعاً، وعدم الاكتفاء بعمل واحد أو بضع أعمال صالحات. حقّاً لو رسخ الايمان في النفس لظهرت على الفرد مثل هذه الآثار.

الايمان ليس فكرة جامدة قابعة في زوايا الذهن، وليس اعتقاداً خالياً من التأثير. الايمان يصوغ كل وجودات الانسان وفق منهج معين ومن هنا اقترن ذكر العمل الصالح في أغلب مواضع القران بذكر الإيمان بوصفه لازماً و ملزوماً)[٩].

حدود العمل بالدين

لا يمكن التغاضي عن العمل. فحدود العمل بالأوامرالإلهية، من أين تبدأ وإلى أين تنتهي؟. الانسان منذ ولادته حتى يصل الى سن العمل بالواجبات ليس عليه تكليف، لأنه لم يصل الى السن الذي يؤهله للعمل بالأوامر والنواهي. ولكن بعد الوصول الى سنّ معين مصحوب ببعض التغيرات الجسمية المواكبة لاضطرابات روحيّة عادةً، يكون الانسان مخاطباً بشكل مباشر في التكاليف الإلهية، ويتحمل العمل بالوظائف الدينية. فعليه مراعاة الواجبات والمحرّمات، وتجنّب المكروهات، وأداء المستحبات. فقد قال سبحانه ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة الانسان: ٢]. فجملة (نبتليه) تشير الى وصول الانسان لمقام التكليف والتعهّد وتحمّل المسؤولية و الإختبار الإلهي، وهذه من أعظم الكرامات الالهية الممنوحة للانسان، حيث جعله محلاً لاختباره وابتلائه سبحانه. وبما ان الاختبار والتكليف لا يأتي إلاّ عن علم واطّلاع، فقد جاء في ذيل الآية الى اشارة الوسائل والآلات السمعية البصرية التي يمكن للإنسان أن يمرّ من خلالها على الاختبار والامتحان.

علاوة على وسائل المعرفة التي منحَها الله سبحانه للإنسان، فإنه بحاجة الى

(٩) ناصر مكارم شيرازي، ال تفسيرالامثل، ج٢٧، ص٢٩٥.

عاملَين آخرين هما الهداية و الاختيار، وقد تكفلت الآية التي تلت الآية السابقة ببيان ذلك:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الانسان: ٣]، يقول السيد العلامة الطباطبائي: (و من المعلوم أن العمل من أي نوع كان هو من رشحات العلم يترشح من اعتقاد قلبي يناسبه، و قد استدل تعالى على كفر اليهود و على فساد ضمير المشركين و على نفاق المنافقين من المسلمين وعلى إيمان عدة من الأنبياء و المؤمنين بأعمالهم و أفعالهم في آيات كثيرة جدا يطول ذكرها، فالعمل كيف كان يلازم ما يناسبه من العلم و يدل عليه. و بالعكس يستلزم كل نوع من العمل ما يناسبه من العلم و يركزه في النفس إذا كان موجوداً)[١٠].

الدين الاسلامي دين حي متطلع للمستقبل، واستطاع أن يفتح أمام المسلمين عيشاً متوازناً وحياة سعيدة ومضيئة في كل أبعادها، وكل الطرق الصغيرة و الكبيرة والفرعية تؤدي الى الاسلام، لأن الاسلام وضع مصابيح الهداية في كل تلك الطرق والمعابر المؤدية إليه. ولم يترك المسلمين ويَكِلُهُم الى أنفسهم في أي مورد من الموارد. ووضع لهم احكام وطرق، من جملتها أحكاماً وطرقاً في كافة مناحي الحياة المختلفة؛ الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية، الاخلاقية، التربوية، العبادية، و.. و.. والتي سوف نتناول بعضها بشكل مختصر.

١. الامور الاقتصادية:

لا يمكن الاستهانة بالامور الاقتصادية لمجتمع ما، ولم يأت الأنبياء لبيان المسائل الاخلاقية فقط، بل لأجل إصلاح الوضع الاقتصادي أيضا، الى الحد الذي جاءت أهميتها والاهتمام بها بعد مرتبة التوحيد، فالناس لا يمكنهم أن يتصرفوا بأموالهم حسب ما يشتهون من دون ضابطة تحكمهم، وإلاّ سوف يعمّ الفساد وتزداد الفوضى في ذلك المجتمع، فيجب على أصحاب رؤوس الأموال العمل وفق ما جاء به الانبياء و الرسل من ضوابط

(١٠) سيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٣، قم، مكتب الا انتشارات الاسلامي، ١٣٧٦ش، ص١٠٠.

صحيحة محسوب لها ألف حساب، قال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾[سورة هود: ٨٤]، وجاء في آية أخرى ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[سورة هود: ٨٥].

أكّدت الآيات السابقة على النظام الاقتصادي السالم السوي، أوامر تعلّم الناس كيف يبيعون ويشترون، ومن لم يعمل بهذه الأوامر فسوف يجرّه الأمر الى الفساد عن طريق التطفيف، الفساد عن طريق غصب حقوق الآخرين و التجاوز عليها، الفساد الذي يؤدي الى الإخلال بالموازين الإجتماعية عن طريق وضع العيوب على أموال الآخرين و التجاوز على حرماتهم وحيثيتهم، وسينجرّ إلى الخلل في النظام الإقتصادي، وبالتالي سيعمّ الفساد والفوضى ذلك المجتمع.

جاء في آية أخرى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [سورة التوبة: ١٠٣]، يقول الاستاذ مكارم الشيرازي حول هذه الآية انّها (إشارة الى أحد الأحكام الإسلامية المهمّة وهي مسألة الزكاة، التي تعتبر إحدى من أحد القوانين المهمة، فالمفاسد الإجتماعية والإنحطاط الخُلُقي والإجتماعي سببه الفقر والتفاوت الطبقي الذي يؤدي الى وجود طبقة محرومة في المجتمع، كل هذه الأمور سيتخلّص منها المجتمع ببركة تطبيق هذه الفريضة الإلهية، أداء الزكاة يؤدي إلى تطهير الفرد والمجتمع ويشيع فيه روح الفضيلة بين أفراده)[١١].

يجب أن يكون الاثرياء مصدر خير للمجتمع، وإذا لم يكونوا كذلك فعلى حاكم الدولة الاسلامية أخذ الزكاة منهم، وذلك لوجود افراد محرومين في المجتمع بحاجة الى حلّ مشكلاتهم ولا ننتظر منهم ان يقوموا بإعطاء الزكاة بأنفسهم.

٢. الامور الاجتماعية

التعامل مع المجتمع من المسائل المهمة التي نتعامل بها يومياً، فيجب ان نعطيه اهتماماً خاصّاً يليق به، والدين رفيق مناسب للمجتمع حيث يمكن من خلاله

(١١) ناصر مكارم شيرازي، التفسير الامثل، ج٨، ص١١٧.

الوقاية من التلوّث الجنسي الذي يعتبر من أهم عوامل الفحشاء في المجتمع.

الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز الجامحة في الانسان، فهي تعادل كل الغرائز الاخرى، وانحرافه يؤدي الى انزلاق الانسان في مهاوي الردى، أمّا الاسلام المساير للحياة و المواكب لها، فقد جعل حلاً لتلك المشكلة وهو الزواج الخالي من الحرام لأجل ديمومة النسل الانساني، وسكون الروح، فقد قال سبحانه ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ ...﴾[سورة النور: ٣٢].

تسهيل امر الزواج من أهم عوامل الوقوف أمام هذا التلوث الاجتماعي الخطير. قال الامام الكاظم عليه السلام:

(ثلاثة يستظلون بظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله: رجل زوج أخاه المسلم، أو أخدمه أو كتم له سرا)[١٢].

من أجمع التعاليم الدينية في المسائل الاجتماعية، مراعاة العدالة التي نادى بها القران ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة النحل:٩٠]، العدل قانون يتمحور حوله الوجود، ولقد قامت السماوات والارض بالعدل. (العدل يعني وضع الشيء في محلّه المناسب، فكل انحراف، أوافراط، أو تجاوز، تفريط هو تعدّ على حقوق الآخرين وخلاف العدل. والعدل لوحده لايكفي في كل الأماكن برغم تأثيره وعلوّ شأنه، لذا عرّجت الاية على أصل الاحسان بالقول وايتاء ذي القربى)[١٣].

مساعدة المجتمعات الصغيرة كالأقارب والمعارف التي تربطنا بهم علاقة عاطفية تحفّز عندنا الدافع القوي لمساعدتهم، بعضهم فسّر العدل بأنه أداء الواجبات وفسّر الاحسان الاتيان بالمستحبات، والبعض الآخر عرّف العدل بأنه اعتقاد، وعرّف الاحسان بالعمل.

٣. الامور الاخلاقية:

مراعاة المسائل الاخلاقية وتطبيق الاوامر الدينية صغيرها وكبيرها يؤدّي الى وجود الارتباط واللُّحمة بين الناس بل حتى بين المسلمين والكفار، حتى انّ

(١٢) الشيخ محمد حسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، د١٤، ص٢٧.

(١٣) ناصر مكارم شيرازي، التفسيرالامثل، ج١١، ص٣٦٨.

بعض الكفار دخل الاسلام بسبب تأثّره بالاخلاق. وان العلاقات الصميمية والارتباط القوي بين الناس يأتي من خلال المحبة والتخلّق بالاخلاق الاسلامية الحسنة، كما جاء في القران الكريم ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾[سورة لقمان: ١٨ -١٩].

كلمة (صعّر) في الآية بمعنى مَرَضٌ يصيب البعير فيجعل رقبته معوَجّة. وهذا مرض نفساني واخلاقي يُصاب به الانسان. والصَعر غرور يأتي من سُكر النّعمة.

وقد نصح لقمان ابنه أن يتجنب صفتَين رذيلَتَين يؤديان الى انفكاك عُرى العلاقات الاجتماعية، وهما التكبّر و الأنانية اللتان تؤديان بالانسان الى العيش في عالم الوهم، الذي يجعل الانسان ينظر لنفسه انه أفضل وأحسن من الآخرين فتنقطع علاقته بهم جرّاء ذلك التفكير والوهم.

وهناك إشارة إلى مسألتين في الآية التي بعدها: صحيح انّ المشي أو السير في الانسان مسألة طبيعية لكنها تنمّ عن شخصيته الداخلية، لأنه ربما يعمل عملاً صغيراً ويتحرك حركةً ما، تنمّ عن أمور متجذّرة في شخصية ذلك الانسان. وهناك الكثير من الروايات التي تنهى عن الغرور أثناء المشي[١٤].

أما في باب التكلّم فقد اوصى الاسلام بوصايا كثيرة، من ضمنها انّ السكوت أفضل في الحالات غير الضرورية للكلام، وأن الأنبياء أُمروا بالكلام لا بالسكوت. ومن المسائل الأخرى التي أوصانا بها الدين، التواضع وحُسن الخُلق وترك الجفوة في العلاقات، حتى ان أمير المؤمنين عليه السلام قال: (الشرف في التواضع)[١٥].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أكثر ما تلج به أمتي في الجنة التواضع وحسن الخلق)[١٦].

الدين مجموعة من الآداب، الأدب أمام الرب سبحانه، الأدب أمام الرسول

(١٤) ناصر مكارم شيرازي، ال تفسيرالامثل، ج١٧، ص٥٥.
(١٥) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج٧٥، ص١٢٠.
(١٦) محمد بن يعقوب الكليني، اصول الكافي، ج٢، ص ٨٢.

والمعصومين عليهم السلام، الأدب أمام الأستاذ، الأبوين العلماء و... حتى أننا لو تتبّعنا آيات القران لوجدنا انّ الله سبحانه يراعي آداب التحدّث الى الناس من خلال القران بشكل كامل، فإذا كان الله سبحانه يعتني بهذه الآداب، فما ظنّك بالناس، يعني عليهم مراعاة الآداب في التخاطب مع بعضهم البعض، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ [سورة الحجرات: ٢].

وتقع مسؤولية الآداب أمام القادة على الناس الذين يتّبعونهم، فيجب أن لا يتقدموا عليهم ولا يعجلوا عليهم.

ومن الواضح ان أدب الإنسان دليل عقله، الذي يُدرك به الصحيح من السقيم، وقد صرّح القران بمراعاة الآداب أمام رسول الله صلى الله عليه وآله صراحةً لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فتحبط أعمالكم.

٤. الأمور العباديّة

إقامة الصلاة وأداء الصوم والحج، تعتبر من أعظم مظاهر الدين الاسلامي، ولكل واحد منها آثار وبركات في حياة الانسان لا تُعدّ ولا تُحصى.

والانسان الذي يذكر ربه صباحاً ومساءً ويجدّد العلاقة به سبحانه، ويناجيه ويتذكّر عظمته، ويقرّ بمسؤوليته تجاهه سبحانه، سوف يجدّد العهد ويديم الاتصال مع الله سبحانه. فمن الآثار الكبرى للصلاة الصبر والانفاق و الاستقامة، كما قال سبحانه في القران الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ [سورة الرعد: ٢٢]، وانّ حفظ آداب وشرائط الصلاة يؤدي الى حفظ ظاهر الصلاة من البطلان، ويقوي حضور القلب في الصلاة، ويؤدي الى قلع الموانع الاخلاقية التي تحول بين الصلاة وقبولها، وقال سبحانه في آيات أخرى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٩]، بينت هذه الآية أحد أهم صفات المؤمنين وهي المحافظة على الصلاة التي تُعدّ أفضل الوسائل التربوية للانسان، وتشير الآية أيضا الى حفظ وقت الصلاة ومكانها وتعدادها وشرائطها. الأمر بالصلاة جاء لأجل

حفظ أهم عُلقة بين الخالق و المخلوق، وتعتبر الصلاة من افضل الطرق في عدم نسيان الذات الإلهية ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[سورة طه: ١٤].

الصيام من الاحكام المهمّة في الدين، فهو من أفضل العبادات، وبيّن القران فلسفة تلك العبادة من خلال الآية الشريفة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٨٣]، الصوم عامل تربوي للتقوى على كافة الأصعدة. والصوم حاله حال بقيّة العبادات في أنه لا يزيد في جلال الله سبحانه، بل مردودها يعود على الصائم نفسه بالنفع والفائدة. فرغم صعوبة هذه العبادة التي تُحجّم الانسان لكنّ عاقبتها حسنة له حيث تؤدّي به الى الراحة و الاستقرار في الجانب المادّي والمعنوي. ولها أثر اجتماعي، تربوي، صحي، وأثرها المهم هو الأثر الأخلاقي. ومن آثار الصوم أيضاً تقوية الإرادة عند الانسان، ولطافة روحه، وتعلّمه السيطرة على غرائزه.

الصيام تكمن فيه روح المساواة في المجتمع، فيشعر الأثرياء والاغنياء ما يعانيه الفقراء والمعوزون، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق)[١٧].

آثار الاعتقاد الديني وفوائده

الناس يعيشون مع الايمان، وله آثار عظيمة على الناس يمكن إجمالها في ثلاث نقاط:

١. السعادة والانبساط.
٢. تقوية العلاقات الاجتماعية.
٣. تقليل الاضطراب والقلق.

١- السعادة و الانبساط: الأثر الاول من آثار الايمان من وجهة النظر المُبهجة، التفاؤل بالخلق و العالم، الايمان يعطي وجهة خاصة للانسان على النحو الذي يرى الخلق هادفاً؛ والهدف هو التكامل والسعادة. هذا ممّا يجعل الانسان متفائلاً، بحيث يرى أنّ التقصير فيه وليس في السلطة. ويُرجع كل نقص اليه بسبب عدم أداء عمله بنفسه، وهذا التفكير يحفّزه على أن يكون غيوراً، ويلزمه بالحركة. أما

(١٧) نهج البلاغة، الكلمات القصار ص١١٤.

الشخص غير المؤمن في الوجود حاله حال الذي يرى نظام الدولة فاسداً، ويعتبر نفسه مجبراً على العيش تحت هذه السلطة، فيكون داخله مملوءاً بالعُقَد و الحقد. ولا يفكّر في إصلاح نفسه، ويرى العالم كالسجن الرهيب، لذا قال القران ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ... ﴾ [سورة طه: ١٢٤].

الأثر الثاني من وجهة نظر الانشراح، هو البصيرة، فترى الانسان يرى العالم بنور الحق والحقيقة، وهذا الجو الروحي يخلق من الانسان أن تكون روحه متنورة وطريقه منيراً ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [سورة الانفال: ٢٩]، يعني جلاء الأدران يكون بتأثير التقوى والايمان بالله سبحانه، حيث يحلّ التفاؤل و الأمل محل الظلمة والدَرَن. فان البصيرة هي أساس معرفة الحق من الباطل ومعرفة العدو من الصديق، و النفع من الضرر، وعوامل السعادة والتعاسة.

الأثر الثالث للإيمان، الأمل في الوصول الى عواقب حسنة عند السعي الحثيث. أما من وجهة النظر المادية بالنسبة للناس، فإنه لا يعتني بهم ولا بما يسلكون من طرق، وان نتيجة الانسان عندهم مرتبطة بشيء واحد هو مقدار سعي الانسان فقط.

أمّا الانسان صاحب الايمان فعالمه بالنسبة لسعي هاتين المجموعتين من الناس وطريقتهم هو (حق أم باطل) لم يمرّ من دون اعتناء، بل يعتقد أن أيادي الخالق تحمي مريدي الحق والفلاح والخير، وكم جميل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة يوسف: ٨٧]. ويقول أيضاً ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[سورة التوبة: ١٢٠]. الانسان من جهة وصوله الى السعادة، يغرق في الملذّات و المسرّات، ويخاف من التفكير بالمستقبل الذي يجعله يرتجف، ويكون مضطرباً وخائفاً بشكل فظيع.

هناك شيئان يعتبران من أساس السعادة: الأول: السعي. الثاني: الاطمئنان لشرائط المحيط الذي يعيش فيه.

الاثر الخامس: الايمان هو الاحاطة

بلذائذ أكثر، تسمى اللذائذ المعنوية.

وقد بيّن الاستاذ الشهيد المطهري هذا المعنى بقوله: (الانسان له لذّتان، لذّة لها ارتباط بحواس الانسان، وهذه اللذة تحصل من العلاقة بين أحد الاعضاء بالشيء الخارجي، مثل لذّة العين عندما تشاهد المناظر الخلابة. أمّا اللذة التي لها علاقة بالروح فهي لاترتبط بأحد الأعضاء ولم تقع تحت تأثير أي شيء خارجي، مثل اللذة التي يحصل عليها الانسان من خلال الخدمة والإحسان وخدمة الآخرين والتوفيق الذي يحصل عليه هو وأولاده جرّاء ذلك، وهذه اللذائذ الروحية تكون أثبت وأقوى. والعرفاء يعيشون هذه اللذائذ عند عبادتهم لله سبحانه)[١٨].

٢- تحسّن العلاقات الاجتماعية:

الانسان بحاجة الى التعايش الإجتماعي، دون أن تتحكم به الغرائز. وهذه الغرائز لها سلسلة من الطلبات في أعماقه، يجب أن تُوجَّه بشكل صحيح في ظلّ التربية والتعليم.

وأفضل طريقة لتعديل غرائز الانسان الاجتماعية، ايجاد وازع نفسي يشدّه تجاه مجتمعه ويشعره بالمسؤولية، بحيث يرى نفسه دائماً انّه مُراقَب أمام هذه القدرة المطلقة التي تراقب أعماله لحظة بلحظة[١٩].

٣- تقليل الاضطرابات:

حياة الانسان شاء أم أبى، فيها مصائب وويلات علاوة على وجود التوفيق، ولكن يمكن تجنّب المصائب بالسعي الحثيث.

من الطبيعي ان الانسان مجبر على مصارعة الطبيعة، ولكن هناك مسائل لا يمكن للانسان تجنبها، مثل الضعف والشيخوخة، وهذه المسألة يعتصر منها الانسان ألماً.

الايمان يخلق المقاومة عند الانسان، وان المؤمن يعلم أن كل شيء في العالم محسوب له حساب معيّن، فإذا ما وقف بصلابة أمام هذه المرارة فسوف يحصل من الجانب الآخر على المكافأة الإلهية.

بالنسبة لهؤلاء الاشخاص لا يحسبون الموت فناءً بل هو انتقال من عالم صغير

(١٨) مرتضى مطهري، الانسان والايمان، ص١٠٣.

(١٩) مرتضى مطهري، الانسان والايمان، ص١٠٤.

الى عالم أكبر. وسوف يكون هكذا أفراد مصونون من الأمراض الروحية و العصبية التي تأتي نتيجة ضعف الإيمان. فقد قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس: ٦٢]، وقال سبحانه ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[سورة الرعد: ٢٨].

أكّدت الدراسات في العقود الثلاثة الأخيرة، ان الدين له أثر كبير في التقليل من مستوى الجريمة و الأمراض النفسية.

وفي نتيجة لمطالعات ميدانية في أمريكا، بيّنت ان الجريمة تكون بمستوى اقل عند الافراد الذين لهم علاقة بالكنيسة، وهناك شواهد طبيعية على الآثار الإيجابية للإعتقادات الدينية في سلامة الجسم والروح.

وتبيّن التحقيقات التي أُجريت في مركز تحقيقات المراقبة الصحيّة، ان هناك علاقة بين التعهد الديني وسلامة جسم الانسان، وان المتديّنين من الناس تكون معاناتهم أقل. وكذلك اثبتت التحقيقات ان الدين والاعتقادات الدينية من أكثر العوامل الصحية تاثيراً في الصحة النفسية.

هناك علاقة قوية بين الالتزام الديني والسلوك السويّ الذي يحول بين وقوع مسائل الانتحار، الاعتياد، الاستعمال السيء للأدوية، الطلاق والكآبة.

وتشير مطالعة أخرى الى انّ ٩٠٪ من مدمني الكحول قد تركوا دينهم في شبابهم[٢٠].

الخلاصة والنتيجة

عالمنا المعاصر يحسّ بالنقص لوجود المشاكل النابعة منه. وعندما نتطلع الى كل جهة، نشاهد عالماً من الناس كلٌّ يبحث عن ضالّته، فتراه يركض بكل اتّجاه من أجل الخلاص من ورطته وحيرته.

الدين الاسلامي هو الضالّة المنشودة، باعتباره خاتم الاديان التي نزلت على البشر، وباعتباره الدين المكمّل لما رسمتهُ الأديان السابقة، الاسلام طريق السعادة الابدية التي يمنحها للإنسان.

والقران الكريم، مثل السراج الذي ينير قلب المسلم ولا ينطفيء، والوصول إلى السعادة تكمن في تطبيق أوامره التي تبعث الحياة.

(٢٠) مهدي كلشني، العلم والدين فى رحاب القرن الاحد والعشرين، ص ١٦٥.